الفصل الثاني عشر

مظاهر الحياة الاجتماعية

مظاهر الحياة الاجتماعية

عناصر السكان :

تعددت عناصر السكان في مصر منذ الفتح الإسلامي حتى نهاية العصر الفاطمي ، فكان سكانها أخلاطا من أجناس مختلفة من عرب ، وسودانيين ومغاربة وأتراك وأرمن[1].

وهذه العناصر المتعددة قد انصهرت مع الوقت في الحياة الاجتماعية وتأثرت بتقاليد المجتمع المصري العريق ، فأصبح الجميع ينتسبون إلى مصر الإسلامية وذلك بعد انتشار الإسلام واللغة العربية فيها ، ومن هذه العناصر الآتي :

العرب:

أتي العرب مصر قبل الفتح العربي الإسلامي لها وكذلك قبل الإسلام وكان ذلك على شكل قوافل تجارية ، حيث كانت العلاقات مستمرة بين العرب في شبه الجزيرة العربية وبين مصر خلال العصرين الروماني والبطالمى ، وكان بها أفواج عديدة من الإغريق والإيطاليين والسوريين والليبيين والعرب والهنود[2] ، وكانت تجارة الشرق تخترق باب المندب محملة بالتوابل والأخشاب ومنتجات الهند والصين ، وكانت تمر عبر البحر الأحمر ثم تشحن في مراكب من قفط للإسكندرية[3]

وعندما أتى العرب مصر مع الجيش الإسلامي وأتموا فتحها واستقر بها العديد من القبائل العربية في مناطق عديدة موضحة في الآتي:

لما اختط العرب مدينة الفسطاط سنة ٢١ هـ/٦٤١م تنافست القبائل العربية في المواضع ، فانتدب عمر بن العاص من خطط الخطط ، فمن تلك الخطط خطة أهل الراية . وهم جماعة من قريش والأنصار وخزاعة وبنى غفار وجهينة ومزينة وأشجع ، ومن تلك

(١) علي حسن الخربوطلي : مصر الإسلامية ، ص٥٣ ، عبد المنعم سلطان : المجتمع المصري ، ص٢٣

(٢) إبراهيم نصحي : تاريخ مصر في عهد البطالمة ، جـ٢ ص٣١

(٣) عبد الفتاح مقلد غنيمي : عروبة مصر قبل الإسلام ، جـ١ ص٤٣،٤٤ ، السيد رشدي ياسين : العرب ودورهم في مصر تحت الحكم البطلمي ، رسالة ماجستير آداب طنطا ١٩٩٠ ص٧٧،٩٦

الخطط خطة مهرة وخطة تجيب وخطط لخم وجذام وخطة بنى بحروهم من الأرذ وخطة ثقيف ، وخطة غافق ، وخطة الصدف وخطة رعين وخطة بنى الكلاع وخطة بنو الرحبة ، وخطة مذحج ، وخولان ، وبنى سعد ، وبني وائل وخطط المعافر ، وخطط غافق وخطة سبأ وبنى فهر وبنى جمح وبنو عنزة ، وخطط الحمراوات ، وبنى اللفيف ، وخطة أهل الظاهر والفارسيين[١] .

العرب في الجيزة:

خطط كثير من العرب في الجيزة ، حيث شملت خطط أصبح من القبائل القحطانية ، وخطط يافع بن الحارث ، وكانت خططهم في وسط الجيزة ، وقد بنى الحصن في خططهم[٢] ، خطط همدان وهى من القبائل القحطانية من كهلان ومن بطونها التي اختطت في الجيزة حاشد وبكيل بن جشم وقد اختطت بكيل في جنوبها الشرقي ، واختطت حاشد في شمالها الغربي ومن بطون بكيل التي اختطت في الجيزة الحياوية بن بنى عامر بن بكيل ، وبنو عوف بن أرحب بن بكيل وقد اختطت كلاهما في الجهة القبلية من الجيزة[٣].

القبائل العربية في شرق الدلتا:

كانت منطقة شرق الدلتا بحكم موقعها الجغرافي بمثابة الباب الطبيعي لدخول القبائل العربية مصر ولذا كانت أكثر الأقاليم المصرية ازدحاما بالقبائل العربية ، ويرجع السبب في تفضيلهم البقاء والإقامة بتلك المنطقة إلى أنها قريبة الشبه بالبيئة التي اعتادوا المعيشة فيها في شبه الجزيرة العربية[٤].

ومن القبائل العربية التي هاجرت إلى مصر واستقرت في شرق الدلتا قيس من مضر وهى من القبائل العدنانية ، فيذكر ابن عبد الحكم أن هجرتها إلى مصر كفريضة وذلك

(١) ابن عبد الحكم : فتوح مصر ، ص٩٣ ، المقريزي : البيان والاعراب ، ص٦٢
(٢) ابن عبد الحكم : فتوح مصر ، ص٩٣
(٣) رضوان الجناني : القبائل العربية في القرنين الثالث والرابع ، ص١١
(٤) محمد فتحي الشاعر : إقليم الشرقية في عصر السلاطين الأيوبين والمماليك ، ص٣٩٢ ، بدر عبد الرحمن : شرق الدلتا ، ص١

خلال عهد الخليفة هشام ابن عبد الملك إذا طلب منه بن الحبحاب - صاحب خراج مصر - أن ينقل إليه منه ، فنقل ثلاثة آلاف وأمر، ألا ينزلهم الفسطاط[١] ، ولم يكن وجود قيس في بلبيس وما حولها فحسب ، وإنما امتدوا إلى ما هو معروف الآن بإقليم القليوبية ، ومنهم بنو مازن الذين انتشروا حول قليوب بأطراف الشرقية[٢].

ومن القبائل العربية التي استقرت بالحوف الشرقي قبيلة بنى تميم ، وهى من القبائل العدنانية التي دخلت مصر سنة ١٣٢ هـ/٧٤١ م مع قيام الدولة العباسية[٣]، وقبيلة بنى طىء عندما كان حميد بن قحطبة الطائي واليا على مصر ، وكانت هذه القبيلة ممثلة في جيشه الذي بلغ عدده حوالي عشرين ألف جندي[٤] ، وأيضا قبيلة كنانة التي حضر منها عدة بطون في فترات متفاوتة ، واستمرت هجرتها إلى مصر حتى قيام الدولة الفاطمية ، وتنسب إليها بلدة ميت كنانة التي كانت ضمن شرق الدلتا والآن إحدى قرى القليوبية[٥].

ومن القبائل التي قدمت إلى شرق الدلتا بنى عدى رهط الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه حيث جاءوا إليها في عهد الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه ، وهم من قريش[٦] وتنسب إليهم قرية بنى عدى التابعة لمركز فاقوس شرقية[٧] ، وفى سنة ٢٠٧ هـ/٨٢٢م أرسلت الخلافة العباسية جيشا أكثره من ربيعة يقوده خالد بن مزيد الشيباني لمواجهة ثورة بمينه قادها عبد العزيز الجربي ، واستقر الكثير من ربيعة في الحوف الشرقي ، ثم نقلت ربيعة إلى أقصى الجنوب أواخر عصر المتوكل على الله العباسي سنة ٢٣٢-٢٤٧ هـ/٨٤٦-٨١٦م للتصدي لخطر البجة ، وبعد أن نجحت في صدهم استقرت ربيعة في تلك المنطقة قبيلة عك[٨] وهم من بنى عك من الأزد من بنى مالك من قبائل كهلان[٩].

(١) الكندي:ولاة مصر ،ص٧٦، ابن عبد الحكم: فتوح مصر، ص١٤٣ ، المقريزي : البيان والأعراب ، ص٦٥ ، ٦٦
(٢) بدر عبد الرحمن : شرق الدلتا ، ص١٩
(٣) عبد الله خورشيد : القبائل العربية ، ص١٨١
(٤) عبد الله خورشيد : القبائل العربية ، ص ٦٣ ، ٩٩
(٥) ابن دقماق: الانتصار ، جـ٥ ص٥٠ ، ابن الجيعان : التحفة ، ص١٣ ، محمد رمزي : القاموس ، جـ١ ق٢ ص٤٨
(٦) عبد الله خورشيد : القبائل العربية ، ص٦٦
(٧) ابن الجيعان : التحفة السنية ، ص٢٦
(٨) بدر عبد الرحمن : شرق الدلتا ، ص١٩
(٩) محمد فتحي الشاعر : الشرقية ، ص١٠٦

ومن القبائل التي هاجرت إلي مصر واستقرت بالحوف الشرقي قبلية هلال وسليم ، حيث نزلوا بلبيس واستقروا بها ، وأنتشر بعضهم في أقاليم مصر الأخرى[١].

ويبدو أن الهلاليين أصبحوا منذ أوائل القرن الثالث الهجري من بطون قيس الكبيرة في الحوف الشرقي ، ففي سنة ٢١٤هـ/٨٢٩م أرسل والي مصر عبد الله بن حليس الهلالي لمحاربة الثائرين في الحوف ، ولكن هذا الهلالي ما لبث أن انضم إلي الثائرين وأصبح قائدا لهم[٢] ، وشاركت قبيلة لخم قيس وجذام في سكن الحوف[٣] ومنهم بنو سماك ، وإليهم تنتسب بلدتا سماكين الشرق وسماكين الغرب وهما تابعتين لمركز فاقوس محافظة الشرقية وكانت بلدة واحدة[٤].

القبائل التي سكنت غرب الدلتا:

أعقب مراحل الفتح الإسلامي لغرب الدلتا ، استيطان القبائل العربية في أقاليمها ، ثم إعمار تلك الأقاليم على مر العصور وذلك بعد أن أنصهروا مع مرور الزمن في بوتقة واحدة مع المصريين ومن هذه القبائل التي استقرت بغرب الدلتا قبيلة لخم . من القبائل القحطانية التي أقامت بخربتا[٥].

وفي العصر العباسي ظهرت جموع كثيرة من قبيلتي لخم أكثر القبائل العربية انتشارا في غرب الدلتا[٦]، ومن بطون لخم التي سكنت غرب الدلتا بنو مدلج ، حيث كانت ديارهم تمتد من دير الجميزة إلي ترعة سول[٧]، وأقاموا أيضا في خربتا وفي وادي هبيت[٨].

(١) المقريزي : البيان والأعراب ، ص٦٧
(٢) الكندي : الولاة ، ص١٨٥
(٣) الكندي : الولاة ، ص١٢٥، ١٢٦
(٤) القلقشندي : قلائد الجمان ، ص٦٩، ٧٠ ، محمد رمزي : القاموس الجغرافي ، جـ١ ص١١٥
(٥) خربتا : هي إحدى قرى غرب الدلتا تبعد عن الإسكندرية بمسافة ٩٠ كم وهي تابعة لمحافظة البحيرة الحالية ، ابن عبد الحكم : فتوح مصر ، ص١٤٢ ياقوت الحموي : معجم البلدان ، جـ٥ ص١٠٦
(٦) المقريزي : البيان والإعراب ، ص١٠٣ ، خورشيد : القبائل العربية ، ص١٥٦
(٧) القلقشندي : صبح ، جـ١ ص٣٨٧ ، محمد دروزده : العرب والعروبة ، ص٥٧
(٨) أبو المحاسن : النجوم ، جـ١ ص٩٧ ، ابن الجيعان : التحفة السنية ، ص١٣٦

وكذلك بنو القشب الذين سكنوا الإسكندرية[١] ، وأيضا قبيلة القارة التي سكنت مدينة رشيد[٢].

أما قبيلة جذام فهي إحدى القبائل القحطانية التي سكنت البحيرة ، ومنهم بنو قرة[٣] وبنوحمير من القبائل القحطانية التي استقرت في غرب الدلتا حيث سكنت ذبحان إحدى بطونها بخربتا[٤] ، وسكنت قبيلة مهرة بمدينة الإسكندرية[٥].

وكانت قبيلة كنده من القبائل القحطانية التي استقرت بطونها بغرب الدلتا مثل تجيب التي استقرت بالبدقون[٦] بعد أن كانت ترتبع بها ، وأيضا السكون وهي إحدى بطون كنده في خربتا[٧].

أما مراد فهي بطن من كهلان من القحطانية ، وكانت ترتبع مع تجيب في البدقون، وسكن العديد من أفرادها مدينة رشيد[٨]، وقبيلة المعافر التي سكنت مدينة الإسكندرية[٩]، وبنو سنبس إحدى القبائل القحطانية التي أتي الوزير الفاطمي اليازوري بهم سنة ٤٨٢هـ/١٠٨٩م إلي صعيد مصر وأسكنهم البحيرة[١٠] ، وبنو هلال ، وكذلك بنو سليم الذين سكنوا المنطقة الممتدة بين البحيرة وبرقة[١١].

القبائل التي سكنت الصعيد :

بنو هلال من القبائل العدنانية وهم من بني عامر من صعصعة من مجموعة هوازن الكبرى ، وقد كان قدومهم مصر ١٠٩هـ/٧٢٧م في هجرة قيس الكبرى وقد انتشر بنو هلال في وقت متأخر بالصعيد[١٢].

---

(١) الكندي : الولاة ، ص١٢٦ ، ابن حبيب : مختلف القبائل ، ص٣٤
(٢) ابن عبد ربه : العقد الفريد ، جـ٢ ص٢٣٠ ، السمعاني : الأنساب ، ص٤٣٧
(٣) المسبحي : تاريخ مصر ، ص٤١٤ ، ٤١٥ ، المقريزي : البيان ، ص٣١
(٤) ابن عبد الحكم : فتوح مصر ، ص١٢٦ ،١٤٢
(٥) السيوطي : حسن المحاضرة ، جـ١ ص١٣
(٦) البدقون : إحدى قرى محافظة البحيرة الحالية ، محمد رمزي : القاموس الجغرافي ، ص ١٢٨
(٧) ابن عبد الحكم : فتوح مصر ، ص١٣٠، ١٤٢
(٨) السمعاني : الأنساب ص٤٩٤ ، ابن عبد الحكم : فتوح ، ص١٢٧ ، إبراهيم علي السيد : القبائل العربية في غرب الدلتا ، ص٦٥
(٩)ابن عبد الحكم : فتوح مصر ، ص١٤٢
(١٠) المقريزي : البيان والأعراب ، ص٩ ، إبراهيم علي السيد : القبائل العربية في غرب الدلتا ، ص٧٢
(١١) المقريزي : البيان والإعراب ، ص٤٨
(١٢) رضوان الجناني : القبائل العربية ، ص١٤ ، ممدوح عبد الرحمن : القبائل العربية في الصعيد ، ص٦٤

ومن القبائل العربية التي قدمت واستقرت بالصعيد أولاد الكنز وأصلهم من ربيعة بن معد بن عدنان أي من عرب الشمال ، وقدم الكثير منهم إلي مصر في خلافة المتوكل على الله العباسي (٢٣٢/ ٢٤٧هـ)[١].

ومن القبائل القحطانية التي استقرت في صعيد مصر، بنو حجر حيث انتقلت هذه القبيلة إلي المنطقة الواقعة في محافظة المنيا الحالية ، وذلك منذ القرن الثاني الهجري/ الثامن الميلادي[٢] ، أما بنو راشد فيذكر أنهم استقروا في البر الشرقي من صعيد مصر فيما بين مسجد موسى ، وأسكر من عمل أطفيح[٣] ، كما سكنت بنو المغيرة كور البهنسا - مركز بني مزار محافظة المنيا الحالية[٤].

ومن القبائل العربية التي استوطنت الأشمونيين بنو كنانة ، وطلحة ويذكر أن منهم أخلاطا في بلاد قريش أي بلاد الأشمونيين وما حولها من البهنسا[٥] ، وبنو زهرة وكانوا ضمن القبائل التي استقرت في الصعيد في منطقة الأشمونيين[٦] ، وكذلك جهينة وهي من القبائل القحطانية سكنوا بلاد الأشمونيين حتى مجيء الفاطميين ثم انتقلوا إلي بلاد أخميم[٧].

ويوجد بين أسوان وقوص جماعات تنسب إلي جعفر بن أبي طالب يعرفون بالجعافرة ، عاشوا في مصر منذ القرن الثالث الهجري ، وكانت عدة بطون منها تنزل بالأشمونيين[٨].

(١) المقريزي : البيان والإعراب ، ص٣٨ ، محمد دروزة : العرب والعروبة ، ص١٧
(٢) المقريزي : البيان والإعراب ، ص٤٢
(٣) عبد الله خورشيد : القبائل العربية ، ص١٠٦
(٤) محمد دروزة : العرب والعروبة ، ص٢٧
(٥) عبد الله خورشيد : القبائل ، ص٨١
(٦) محمد دروزة : العرب والعروبة ، ص٢٨
(٧) القلقشندي : صبح ، جـ١ ص٨
(٨) المقريزي : البيان ، ص٣٢

ومن القبائل بصعيد مصر قبيلة هوارة ولها فروع كثيرة في مصر وهي تنسب إلي حمير الأصغر من سبأ ، كانوا يسكنون الصعيد فيما بين قوص والبهنسا وصارت لهم بلاد اخميم والأمر على ذلك إلي الآن[1].

السودانيون:

عرفت مصر السودانيين خلال عصر الولاة وذلك أثناء ولاية عبد الله بن أبي سعد بن أبي سرح عام ٣١هـ/٦٥١م من قبل الخليفة عثمان بن عفان ﷺ ، وكان ذلك بنقض المعاهدة التي عقدها عبد الله بن سعد بن أبي سرح مع ملك النوبة والتي تكونت من خمسة آلاف فارس[2] ، وقد وصلت حملتهم إلي مدينة دنقلة بعد قتال عنيف أنتهي الأمر بعقد هدنة بين الطرفين ، وتم توقيع معاهدة البقط[3] ، وعقدت هذه المعاهدة بناء على طلب النوبيين أنفسهم الذين طلبوا الصلح والموادعة ، ويذكر المسعودى في هذه المعاهدة أنها تنص على أن يدفع ملك النوبة إلي بيت المال في مصر حوالي ٣٦٥ رأسا (ثلاث مائة وخمسة وستون رأسا) من الرقيق كل عام[4] ، وفي صيغة أخري "وليس بين أهل مصر والأساود عهدا ، وإنما كانت هدنة أمان بعضنا من بعض ، نعطيهم شيئا من قمح وعدس ، ويعطوننا دقيقا ، ولا بئس بما يشترى من رقيقهم منهم ومن غيرهم"[5].

وإذا نظرنا إلى ما جاء بهذا الاتفاق نجد أنه أشبه بعقد معاهدة تجارية حيث تضمن تبادل بعض السلع مع الرقيق ، كما أنه يوحي بإلزام ملك النوبة بإرسال محدد من الرقيق إلي بيت المال وذلك على سبيل الجزية ، ومهما يكن من الأمر فإن هذا الاتفاق دليلا على وجود السودانيين في مصر منذ القرن الأول الهجري ، وقد تم تجديد هذه المعاهدة

(١) محمد دروزة : العرب والعروبة ، ص١٨ ، ٣٠

(٢) المقريزي : الخطط ، جـ١ ص٣٢٢

(٣) البقط : هي كلمة غير واضحة الأصول وهي تعني عقد أو معاهدة أو اتفاقية فهي مشتقة من الكلمة اللاتينية Pactum ، ولعل أصلها من الكلمة المصرية "باك " بمعنى عبد ، وقيل أنها كلمة عربية بمعنى نبذة أو قطعة أو فرقة ، المقريزي : الخطط ، جـ١ ص٣٢٢ ، محمد مصطفى سعد : الإسلام والنوبة في العصور الوسطى ، القاهرة ١٩٦٠ ،ص١١٣

(٤) المسعودي : مروج الذهب ، جـ١ ص١٤١

(٥) اليعقوبي : تاريخه ، جـ١ ص١٦٠ ، الكندي : ولاة مصر ، ص١٢

في سنة ٢١٦هـ/٨٣١م ، وذلك خلال عهد الخليفة المأمون العباسي[١] ، وظلت هذه المعاهدة سارية خلال العصر الأيوبي والمملوكي ، ولم ينهيا العمل بها إلا بعد أن أستقل بنو الكنز تماما عن الدولة المملوكية ، وكان ذلك سنة ٨٠٦هـ/١٤٠٣م ويعبر عن ذلك بن خلدون بقوله: "أنهم منذ ذلك التاريخ - أواخر القرن الثامن الهجري وأوائل التاسع - انقطع إرسال ملوك النوبة للجزية والبقط إلي حكام مصر"[٢] ، وكان ذلك خلال فترة حكم السلطان المملوكي الناصر فرج بن برقوق الفترة الأولي (٨٠١-٨٠٨هـ/١٣٩٩-١٤٠٥م).

وقد ازداد عدد السودانيين في أنحاء البلاد منذ أن درج بعض الولاة في مصر على تجنيدهم ، وخاصة بعد استبعاد العرب من الديوان في عهد المعتصم ، وقد أستكثر ابن طولون من شراء العبيد السودانيين[٣] ، وألحقهم بالجيش الطولوني الذي كان يضم الآلاف منهم ، ويقدر عددهم بأربعين ألف بالإضافة إلى سبعة آلاف مرتزقة وهذا العدد مبالغ فيه لأن الجيوش الطولونية كلها كانت في أشد قوتها تقدر بنحو خمسين ألف جندي[٤] ، وقد سار الإخشيديون على نهجهم حيث ضم الجيش الإخشيدي عددا كثيرا منهم حتى أن كافور الذي وصل لحكم مصر في أواخر العصر الإخشيدي كان عبدا أسود[٥] ، وهذا دليل على مدى تزايد نفوذهم في ذلك العصر.

أما خلال العصر الفاطمي فتضاعفت أعدادهم وظهر أمرهم وخاصة في عهد الخليفة الحاكم بأمر الله ، حيث كانت الأسواق تكتظ بالعبيد السودانيين من أهل النوبة ، وأصدر الحاكم قرارا بتخصيص يوم لبيع الجواري منهم ويوم لبيع الغلمان ، وأشترط على من يذهب إلي أسواق الرقيق أما أن يكون مشتريا أو بائعا وليس متفرجا[٦] ، وقد ظهر

(١) سهام أبو زيد : العناصر السودانية ، ص١٠
(٢) ابن خلدون : العبر ، جـ٥ ص٤٢٩
(٣) المقريزي : الخطط ، جـ١ ص١٥٢ ، حسن محمود : حضارة مصر في العصر الطولوني ، ص١٨٤ ، ١٨٨
(٤) أحمد مختار العبادي : قيام دولة المماليك ، ص٦٦
(٥) جمال سرور : الدولة الفاطمية ، ص١٠٢ ، سيدة كاشف : عصر الإخشيديين ، ص٢٤٥
(٦) ابن سعيد : النجوم الزاهرة في حلي حضرة القاهرة ، ص٦٦ ، عبد المنعم سلطان : المجتمع المصري ، ص٥٣

أمرهم في عهد الحاكم عندما استعان بهم في إخماد بعض الثورات التي قام بها المصريون والأتراك[1].

ويرجع السبب في كثرتهم وازدياد نفوذهم خلال العصر الفاطمي إلي أن أم المستنصر كانت من السودانيين، حيث بلغ عددهم خمسين ألف نصفهم من الجنود ونصفهم من عبيد الشرى، وجندتهم وكانوا عونا لها في إخماد ثورات الأتراك ولكنهم انهزموا رغم ما قدمته لهم من معونات، فهرب العديد منهم إلي الصعيد وعاثوا فيها فسادا[2].

وهكذا يمكن القول أن الجواري السودانيات كان لهم دور بارز في سياسة الدولة الفاطمية ، حيث وصلن إلي أعلي المراتب في السلم الاجتماعي بزواجهن من بعض الخلفاء، وكونهن أمهات لبعضهم ، ومثال ذلك الدور الذي قامت به أم المستنصر بالله من السيطرة عليه وعلى شئون الدولة ، وذلك بسيطرتها على أبي سعيد إبراهيم بن سهل التستري المشرف على ديوانها ، الذي من خلاله سيطرت على شئون الدولة ، واتخذت لها العلامة "الحمد لله ولي كل نعمة" للتوقيع على الأوراق الرسمية ، وتدخلت في شئون الوزارة والقضاء والدعوة ، وكانت تفضل بني جنسها من السودانيين مما أدي إلي الفتنة واضطراب أحوال البلاد[3].

وتفاقم أمر السودانيين في عهد المستنصر بالله وازدادت أعدادهم وكثرت حروبهم مع الأتراك ونالوا الكثير من الهزائم[4] ، ثم زاد خطرهم على أمن الدولة في عهد الظاهر لإعزاز دين الله ، فثاروا بتنيس سنة٤١٥ هـ/١٠٢٤م مطالبين بأرزاقهم وعاثوا في البلد فسادا وسلبوا ما في خزائنها من مال ، فبعث إليهم الوزير الفاطمي نجيب الدولة على بن أحمد الجرجرائي من قبض عليهم وأخضع ثورتهم[5].

(١) ابن الجوزي : المنتظم ، جـ٧ ص٢٩٧ ، ٢٩٩ ، حسن إبراهيم حسن : الدولة الفاطمية ، ص٦٢٥
(٢) أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ، جـ٢ ص١٥٦
(٣) المقريزي : الخطط ، جـ١ ص٤٢٤ ، نريمان عبد الكريم : المرأة في العصر الفاطمي ، ص٢١١
(٤) النويري : نهاية الأرب ، جـ٢ ص٦٧
(٥) المقريزي : الخطط ، جـ١ ص٨١

وفي سنة ٤٥٤ هـ/١٠٦٢م اشتبك السودانيون مع الأتراك عند كوم شريك ، ولما انهزموا انتشر مسارهم في أنحاء البلاد ، حيث اكتسح خمسة عشر ألف منهم غرب الدلتا حتى وصلوا إلي دمنهور ، والإسكندرية واستقروا بها وحالوا دون زراعة الأراضي ، كما ألقوا الرعب في قلوب الفلاحين ، وكان بالإسكندرية جماعة منهم فحاربهم الترك وحاصروهم فيها مدة حتى طلبوا الأمان ، فأخرجهم الترك بعد أن ظلت الإسكندرية بأيديهم فترة أثناء ثورتهم سنة ٤٦٠هـ/١٠٦٧م[١].

وعلى الرغم من كثرة حروب السودانيين وهزيمتهم لأضعاف شوكتهم إلا أن ذلك لم يقض عليهم تماما ، حيث كان السودانيون من بين العناصر التي حاولت التخلص من صلاح الدين الأيوبي[٢].

الترك:

ينسب الترك إلي منطقة التركستان الروسية ، ولم تكن لهم مدينة أو حضارة قديمة ، بل كانوا مجرد رعاة بدو ، وقد أكسبتهم البداوة قوة جسدية وخشونة في الطبع[٣] ، وهذا بطبيعة الحال جعل الخلفاء والأمراء يعتمدون عليهم في الجيش فامتلائت بهم قصورهم للحراسة والخدمة.

وازداد عدد الترك في مصر خلال العصر العباسي الثاني ، وذلك بعد ازدياد نفوذهم في بغداد وتحكمهم في الخلفاء وسياستهم وتولى بعضهم منصب الأمارة في مصر ، فكان أحمد بن طولون ، ومحمد بن طغج الإخشيدي من الأتراك الذين تولوا إمارة مصر ، وقد اعتمدا كثيرا على العنصر التركي الذي تزايد بصورة ملحوظة خلال تلك الفترة[٤].

وقد ظهر أمرهم في عهد العزيز بالله الفاطمي الذي نسج على منوال العباسيين منهجهم الخاطئ في اعتماده على العساكر التركية وأدخلهم الجيش كجند مرتزقة ، وكان

(١) سهام أبو زيد : العناصر السودانية ، ص٦٢
(٢) المقريزي : الخطط ، جـ٢ ص٢٩
(٣) عطية القوصي : دراسات في الحضارة الإسلامية ، ص٨٦
(٤) حسن إبراهيم حسن : الدولة الفاطمية ، ص٦٢٥ ، سيدة كاشف : عصر الإخشيديين ، ص٢٤٥

للوزير ابن كلس دور كبير في ازدياد عدد الأتراك في عهد العزيز بالله ، حيث كان ينفر من المغاربة[١].

وفي عهد الحاكم بأمر الله تفاقم أمرهم حيث كان برجوان الخادم أستاذا ومربيا للحاكم وكان من الصقالبة ، وظل مناوئا لأبن عمار زعيم المغاربة ومنافسا له[٢] ، وخلال عهد المستنصر بالله واجه الترك منافسة شديدة من السودانيين فنشبت بينهما معارك ضارية انتهت بهزيمة السودانيين.

المغاربة:

هجرة المغاربة إلي مصر قديمة العهد ، والطريق المغربي الذي يصل بلاد المغرب بمصر كان معبرا مفتوحا للمغاربة منذ أقدم العصور[٣] ، وقد عرفت مصر عنصر المغاربة منذ عصر الولاة حيث الحجاج المغاربة يستخدمون الأراضي المصرية أثناء ذهابهم لأداء فريضة الحج والعودة منها[٤].

وقد وجد عنصر المغاربة في الجيش المصري منذ العصرين الطولوني والإخشيدي[٥]، وبدأ بعض المغاربة يستقرون في مصر منذ أواخر عهد الدولة الإخشيدية وذلك أثناء محاولات الفاطميين غزو مصر منذ سنة (٣٠٢هـ/٩١٤م) ، حيث تركت حملاتهم التي باءت بالفشل بعض أفرادها لينشروا مذهبهم الشيعي بين أهالي البلاد[٦].

وفي سنة ٣٥١هـ/٩٦٢م أرسل الفاطميون من الغرب أعدادا غفيرة من المغاربة وذلك للإقامة بمدن مصر والاستقرار بها ، حيث أنه في بعض الأحيان كانت كثرة عددهم سببا في ارتفاع الأسعار[٧] وزيادة الغلاء وندرة الغلال ، ويذكر أبو المحاسن: "أنه في سنة إحدى وخمسين وثلاثمائة وقع بمصر الغلاء واضطربت أمور الديار المصرية والإسكندرية والبحيرة

(١) فليب حتى : تاريخ العرب ، جـ٣ ص٧٣٥
(٢) حسن إبراهيم حسن : الدولة الفاطمية ، ص٦٢٥
(٣) المقريزي : البيان والأعراب ، ص١٢
(٤) ابن جبير : الرحلة ، ص٤٨
(٥) سهام أبو زيد : المغاربة ، ص١٩ ، سيدة كاشف : عصر الإخشيديين ، ص٢٤٥
(٦) حسن إبراهيم حسن : الفاطميون في مصر ، ص٨٩ ، سيدة كاشف : عصر الإخشيديين ، ص٣٦٤
(٧) سهام أبو زيد : المغاربة ، ص٢٣

بسبب المغاربة أعوان الخلفاء الفاطميين الواردين إليها من المغرب، وتزايد الغلاء وعز وجود القمح"[1].

ويذكر المقريزي في وجود المغاربة بمصر "وما زالت الإسكندرية وأعمالها في اضطراب إلى أن قدمت إليها جيوش المعز لدين الله الفاطمي مع القائد جوهر سنة ٣٥٨هـ/٩٦٩م"[2].

ولما استقر الفاطميون في مصر بعد استيلائهم عليها كان لذلك أثر لا ينكر في هجرة المغاربة إلي مصر، حيث كانت أول الجموع ضمن الجيش الفاطمي الذي اتجه لغزو مصر تحت قيادة جوهر وقيل أنها كانت تضم مائة ألف جندي[3].

وقد توالت هجرات المغاربة إلي مصر على دفعات حيث أتت دفعة ثانية في اليوم التالي لدخول مصر، والدفعة الثالثة وصلت خلال شهر المحرم سنة ٣٥٩هـ/٩٦٩م مع هدية من المعز لدين الله لقائده جوهر، ثم كان وصول الفوج الرابع خلال شهر صفر من نفس السنة، ثم وصلت دفعة أخري من المغاربة إلي مصر في شهر رجب سنة ٣٦٠هـ / ٩٧٠م، ودخل مصر جيش كبير من المغاربة، هذا بجانب الأعداد الكبيرة التي هاجرت ضمن حاشية الخليفة المعز إلي مصر في شهر شعبان سنة ٣٦٢هـ/٩٧٢م"[4]

وخلال العصر الفاطمي انتقلت موجات أخري من المغاربة فاستقرت في نواحي مصر[5]، وكان من بين هذه الموجات جماعة من قبيلة لواتة التي استقرت بالبحيرة بعد أن كونت حلفا مع العرب المقيمين بها من بني سنبس[6].

وفي سنة ٥١٠هـ/١١١٦م هاجر إلي مصر طائفة جديدة من لواتة واستقروا بالإسكندرية[7]، وكذلك قدمت طوائف من هوارة التي كانت تسكن مدينة اياس

(١) أبو المحاسن : النجوم، جـ٣ ص٣٢٦
(٢) المقريزي : الخطط، جـ١ ص٢٥
(٣) حسن إبراهيم حسن : الدولة الفاطمية ، ص٦٢١
(٤) سهام أبو زيد : المغاربة، ص٢٨
(٥) المقريزي : البيان والأعراب، ص١٣٣
(٦) القلقشندي : صبح، جـ١ ص٤٢٠
(٧) ابن ميسر : أخبار مصر، ص٩٣

الطرابلسية[١] وتمتد مواطنهم إلي الجنوب من طرابلس[٢] ، وأقاموا بغرب الدلتا بالبحيرة وفي المنطقة الممتدة من الإسكندرية غربا إلي العقبة الكبيرة من برقة ، وظل المغاربة من أبناء هواره يقيمون بالمنطقة حتى أنزلهم السلطان برقوق الذي تولي سنة ٧٨٤هـ/١٣٨٢م منطقة الصعيد الأعلى ، ونزلوا بالأعمال الأخميمية في جرجا وما حولها ، ثم قوي أمرهم واشتد بأسهم وكثر جمعهم حتى انتشروا في معظم الوجه القبلي فيما بين أعمال قوص وإلي الغرب من الأعمال البهنساوية ، وصارت لهم الأمارة في بلاد أخميم[٣].

كما استقرت بعض القبائل المغربية بالوجه البحري ، فسكن من لواتة في المنوفية العديد من بطونها ، ومن قبائل مزاتة ، وزناره ، وهواره وسكن بالجيزة طوائف من مزاته ، ولواتة ، وفي قليوب سكن من المغاربة طوائف من مزاره ، وفي الغربية طوائف مزاته ، وفي المنوفية طوائف من لواتة ، وفي البهنسا بنو بلار[٤] ، هذا فضلا عن الكتاميين الذين قامت على أكتافهم الدولة الفاطمية ومنهم عصب الدولة وقوتها والذين استقروا بالقاهرة[٥] ، والجدير بالذكر أن قبائل المغرب المهاجرة إلي مصر جاءت تحمل أنساب عربية إلي جانب أنسابها البربرية ، حيث تنقسم في أنسابها إلي الشعبتين العربيتين الأساسيتين ، فبعضهم ينتسب إلي القيسية مثل قبائل لواتة ، وبعضهم إلي السبئية مثل قبائل هواره[٦].

شغل المغاربة العديد من الوظائف داخل الدولة الفاطمية ، وخلال عهد المستنصر بالله صار المغاربة من عامة الشعب بعد أن كانوا من كبار رجال الدولة[٧]ولعل ذلك راجع إلي قدوم بدر الجمالي إلي مصر وإحلال الأرمن محلهم في الجيش وبعض المناصب الأخرى.

(١) ابن خرداذبة : المسالك والممالك ، ص٩١
(٢) ابن خلدون : العبر ، جـ٦ ص١٠٣
(٣) محمد دروزة : العرب والعروبة ، ص٣٠ ، ٣١
(٤)سهام أبو زيد : المغاربة ، ص٤٠
(٥)جمال سرور : الدولة الفاطمية ، ص١٠١
(٦) المقريزي : البيان ، ص٤٩ ، ٥٦ ، سهام أبو زيد : المغاربة ، ص٤١
(٧) عوض الله محمد : الحياة الاجتماعية ، ص٥٣

الأرمن:

تواجد الأرمن بمصر منذ عهد الفتوحات الإسلامية الأولي ، واستمرت العلاقة قائمة بين المسلمين والأرمن خلال العصرين الأموي والعباسي[١].

ولما بعث المستنصر بالله إلى بدر الجمالي والى عكا يطلب منه القدوم ليتولى شئون دولته وإصلاح أمورها ، اشترط أن يحضر معه من يختاره من عساكر بلاد الشام ليستعين بهم على الجند الأتراك والمغاربة والسودانيين ، فوافق المستنصر على ذلك[٢].

أتي بدر الجمالي لمصر ومعه جند كثير من الأرمن وغيرهم ، ودخل القاهرة على رأس جنده الأرمن ، وصاروا يشغلون جانبا كبيرا من الجيش الفاطمي ويتمتعون بنفوذ مثلهم في ذلك مثل المغاربة والسودانيين وغيرهم[٣].

استطاع بدر الجمالي بعزمه ومهارته أن يعيد إلي البلاد المصرية استقرارها ومهد للأرمن الاستئثار بالمناصب فيما بعد ، فتولي ابنه الأفضل الاستيلاء على مقاليد الأمور في الدولة ، فجعله ولي عهده ثم تولي الوزارة ، كما تولي بعض الأرمن مثل بهرام الأرمني والي الغربية وأخيه الباسك والي قوص[٤] ، ويانس الأرمني الذي تولي الوزارة سنة ٥٢٦هـ/١١٣١م في خلافة الحافظ[٥] ، وكان رضوان بن ولخشي والي عسقلان سنة ٥٢٩هـ/١١٣٤م الذي وقف في وجه الأرمن الذين أرادوا الذهاب لمصر ومنعهم من ذلك ، بجانب أنه تولي الغربية سنة ٥٣٠هـ/١١٣٥م[٦] ، وظل بها حتى خرج على رأس قواته لطرد بهرام وتمكن من هزيمتهم وتولي الوزارة مكانه سنة ٥٣٠هـ/١١٣٥م ، ومنذ ذلك الوقت ضعف نفوذ الأرمن بمصر وقل شأنهم عما كان من قبل وظل لهم بقايا بمصر حتى عهد الدولة الأيوبية .

---

(١) مروان المدور : الأرمن ، ص٦٨ ، ٦٩ ، فايز اسكندر : الفتوحات الإسلامية لأرمينية ، ص٥٣

(٢) المقريزي : الخطط ، جـ١ ص٣٨١

(٣) أبو شامة : الروضتين ، جـ٢ ق١ ص٦١٨

(٤) محمد حمدي المناوي : الوزارة والوزراء ، ص٢٧٨ ، حسن إبراهيم حسن : الفاطميون في مصر ، ص٢١٤

(٥) محمد حمدي المناوي : الوزارة والوزراء ، ص٢٧٧ ، ٢٧٨

(٦) محمد حمدي المناوي : الوزارة والوزراء ، ص٢٧٩، جمال سرور : الدولة الفاطمية ، ص١٢٣

العادات والتقاليد في المجتمع المصري

الأعياد والمواسم:

بعد سيطرة المسلمين على مصر، ودخول الدين الإسلامي إليها أصبح في مصر ثلاثة أنواع من الأعياد تتبع ثلاثة ديانات رئيسية في مصر، وهذه الأعياد هي أعياد المسلمين، وأعياد النصارى وأعياد اليهود.

هذا بجانب الأعياد التي يمكن أن يطلق عليها أعيادا قومية وذلك لأنها لا تقام وفقا لدين معين، وإنما كان الشعب كله يحتفل بها وشاركهم المسلمون في هذه الاحتفالات وهي التي ارتبطت بالانتصارات وغيرها.

وكان المجتمع في مصر الإسلامية على اختلاف عناصره وطبقاته يحتفلون بتلك المناسبات في ظل الروح والتسامح الذي ساد بينهم.

أولا أعياد المسلمين:

كان للمسلمين مناسبتان رئيسيتان هما عيد الفطر وعيد الأضحى، وقد عني المسلمون بالاحتفال بهما منذ بداية الإسلام، فكان عيد الأضحى يمثل احتفالا بموسم الحج وأداء المسلمين لهذه الفريضة الفاضلة، أما عيد الفطر فكان يمثل احتفالا وابتهاجا بانتهاء شهر رمضان الكريم، وكان الاحتفال بهذين العيدين خلال الدولة الطولونية والإخشيدية يتم عن طريق التوجه إلي المساجد لأداء صلاة العيد وبعد أدائها والابتهال إلي الله تعالي كانوا يتزاورون ويتبادلون التهنئة في فرح وسرور[1].

وفي العصر الفاطمي كان الاحتفال بهذين العيدين ذا طابع خاص حيث كان عيد الفطر يمثل عندهم الموسم[2] الكبير كما كان يطلق أيضا عليه عيد "الحلل"، وذلك لتوزيع الكسوات على جميع موظفي الدولة وكان من مظاهر الاحتفال بهذا العيد أيضا توزيع الحلوى على جميع موظفي الدولة، ولذا أنشأت الدولة الفاطمية دار الفطرة[3].

---

(١) القلقشندي: صبح، جـ٤ ص٤٦،٤٨، الألوسي: بلوغ الأرب، جـ١، ص٣٦٥، سيدة كاشف: عصر الإخشيديين، ص٢٥١

(٢) المقريزي: الخطط، جـ٢ ص٤٥٢

(٣) المقريزي: الخطط، جـ١ ص٤٢٥، أبو المحاسن: النجوم، جـ٤ ص٩٦

أما الاحتفال بعيد الأضحى خلال العصر الفاطمي فكان يبدأ يوم التاسع من ذي الحجة وهو يوم الهناء بعيد النحر[١] ، وفيه كانت توزع الهبات المالية وتمنح الكسوات والخلع على كبار رجال الدولة وكان يطلق عليها "كسوات عيد النحر"[٢].

رأس السنة الهجرية:

كان الاحتفال برأس السنة الهجرية من أبهج الاحتفالات ، وكان يبدأ في الأيام العشرة الأخيرة من ذي الحجة ، وفي صبيحة يوم الاحتفال كانت توزع الدراهم والدنانير التي تم ضربها لهذه المناسبة وتحمل تاريخ السنة الهجرية الجديدة ، وتعرف بـ "الغرة" وكانت توزع على جميع رجال الدولة خلال العصر الفاطمي[٣] ، وكانت توزع أصنافا متعددة من اللحوم والحلوى والخبز على كبار رجال الدولة ويحمل الكثير منها إلي عامة الناس[٤].

المولد النبوي الشريف :

ويبدأ الاحتفال به في مصر في بداية القرن الرابع الهجري[٥] ، وكان ذلك في الثاني عشر من شهر ربيع الأول من كل عام ، وتميز الاحتفال بهذه المناسبة خلال العصر الفاطمي بكثرة ما يوزع فيه من الصدقات والأطعمة والحلوى[٦].

الاحتفال بشهر رمضان :

احتفل المسلمون في مصر خلال العصرين الطولوني والإخشيدي بشهر رمضان[٧] ، أما خلال العصر الفاطمي فكان من العادة الإعلان عن غرته ، حيث ترسل الكتب

(١) المقريزي : الخطط ، جـ١ ص٤٤٢
(٢) عبد المنعم سلطان : المجتمع المصري ، ص١٤٦
(٣) المقريزي : الخطط ، جـ١ ص٤٢٥ ، أبو المحاسن : النجوم ، جـ٤ ص٩٦
(٤) المقريزي : الخطط ، جـ١ ص٤٤٢
(٥) عبد المنعم سلطان : المجتمع المصري ، ص١٤٦
(٦) القلقشندي : صبح الأعشى ، جـ٣ ص٥٠٥
(٧) المقريزي : الخطط ، جـ١ ص٤٤٤

والبشارات إلي ولاة الأعمال بعد استطلاع هلال رمضان[١] ، وكان هذا الشهر مناسبة لإظهار البذخ والثراء من قبل الدولة ، حيث كانت تقام الموائد الرسمية بالجوامع الكبرى وتنفق عليها الدولة ليفطر الناس على اختلاف طبقاتهم[٢].

وكان الناس يستقبلون شهر رمضان بالبهجة والسرور، فتزدحم الأسواق بالحركة والنشاط وتعم البيوت العديد من أصناف الحلوى والأطعمة ، وكانت المساجد والجوامع تزدحم بالمتعبدين[٣]

ومن المناسبات التي أحيى ذكراها المسلمون في مصر ذكرى الإسراء والمعراج والنصف من شعبان وغزوة بدر ويوم عاشوراء[٤].

أعياد النصارى:

كانت أعياد النصارى عديدة فمنها سبعة أعياد صغار، وسبعة أخرى أطلق عليها الأعياد الكبرى ، وقد احتفل نصارى مصر بتلك الأعياد وهي تتمثل فيما يلي:

١- *عيد البشارة*

كان يحتفل به في التاسع والعشرين من شهر برمهات (مارس)[٥] ، ويعني به النصارى بشارة جبريل عليه السلام للسيدة مريم بميلاد السيد المسيح عليه السلام[٦].

٢- *عيد الزيتونة:*

وكان يقام في اليوم الثاني والأربعين من بداية صومهم ، وهو يحيي عندهم ذكري ركوب السيد المسيح عليه السلام ودخوله بلدة صهيون بفلسطين والناس من حوله يسبحون بين يديه[٧] ، وكان النصارى في الإسكندرية وغيرها يخرجون في موكب كبير حاملين أغصان

(١) جمال سرور : الدولة الفاطمية ، ص١٦٦
(٢) المقريزي : الخطط ، جـ١ ص٤٣٢ ، حسن إبراهيم حسن : تاريخ الإسلام ، جـ٣ ص٥٠٨
(٣) سيدة كاشف : عصر الإخشيديين ، ص٢٥١ ، حسن محمود : العصر الطولوني ، ص١٩٦
(٤) محمد بهجت عصفور : رؤية هلال شهر رمضان في مصر الإسلامية ، مكتبة الملك فيصل الإسلامية ١٩٩٠م ، ص٤٨
(٥) جمال سرور : الدولة الفاطمية ، ص١٦٧
(٦) المقريزي : اتعاظ الحنفا ، جـ٢ ص٩٦ ، عبد المنعم سلطان : المجتمع المصري ، ص١٣٩
(٧) المقريزي : الخطط ، جـ١ ص١٠٠

الزيتون وسعف النخيل والصلبان وهم يرتلون الأدعية والقراءات وكان موكبهم يخترق شوارع المدن في أمن وسلام دون أن يعترض طريقهم أحد وفي حراسه ولاة المدن[١].

وفي مدينه اخميم كان من عاده الاحتفال به أن يخرج القساوسة والشماسه بالمحاجر والبخور والصلبان والأناجيل والشموع المشتعلة ويقفون علي باب القاضي ، ثم أبواب الأعيان من المسلمين فيبخرونها ويقرؤا فصلا من الإنجيل ويمدحونه[٢] ، وقد اصدر الحاكم بأمر الله عده قرارات بمنع النصارى من الاحتفال بهذا العيد ، وشمل ذلك سائر أقاليم الدولة الفاطمية[٣].

٣- عيد الفصح:

وهو العيد الكبير ، وكان يحتفل به بعد الصلبوت بثلاثة أيام ، ويمثل عندهم ذكري صلب السيد المسيح عليه السلام وقتله ، وكانوا يحيونه يوم الفطر من صومهم الأكبر[٤].

٤-عيد العنصرة (عيد الخميس)

وكان يحتفل به في السادس والعشرين من بشنس (مايو) ، وبعد خمسين يوما من عيد صعود السيد المسيح عليه السلام[٥] ، وكان يمثل إحياء الذكري التي يزعمون أن الله نجا فيها تلاميذ السيد المسيح عليه السلام من الحبس الذي جري لهم علي يد اليهود ، وذهب كل واحد منهم إلى بلد ينشرون فيه دعوة السيد المسيح عليه السلام[٦].

٥- عيد الميلاد:

وكان يقام في التاسع والعشرين من كيهك (ديسمبر) ، وهو ذكري ميلاد السيد المسيح عليه السلام ، ودائما يوافق يوم الاثنين ، فيجعلون ليله الأحد هي ليله الميلاد[٧] ، وفي هذا

(١) المقريزي : الخطط ، جـ١ ص٢٦٤ ، الآلوسي : بلوغ الأرب ، جـ١ ص٣٥٧
(٢) القلقشندي : صبح الأعشى ، جـ٤ ص٤٥٤
(٣) المقريزي : الخطط ، جـ٢ ص٥١٧ ، أدم متز : الحضارة الإسلامية ، جـ١ ص٢٨٤
(٤) المقريزي : الخطط ، جـ٢ ص٥١٧ ، الألوسي : بلوغ الأرب ، جـ١ ص٣٥٧
(٥) عبد المنعم سلطان : المجتمع المصري ، ص١٧٨
(٦) المقريزي : الخطط ، جـ٢ ص٥١٧
(٧) المقريزي :اتعاظ الحنفا ، جـ١ ص٢٦٤

العيد تزين الكنائس بالمصابيح وتضاء منازل النصارى بالفوانيس الملونة وبداخلها شموع مصبوغة ، وكانوا يقبلون على أنواع الملاهي واللعب بالنار ، وكانت الأسواق تزدان بالفوانيس والمشاعل في هذه الليلة[١].

٦- عيد الغطاس:

يحتفل به النصارى في الحادي عشر من طوبه (يناير)[٢] ، وأصله عند النصارى انه إحياء لذكري قديمه لديهم وهي أن يحيي بن زكريا عليهما السلام والمعروف عندهم بيوحنا المعمدان "عمد المسيح أي غسله في بحيرة الأردن" ، ولما خرج من الماء اتصل به روح القدس ، فصار النصارى لذلك يغمسون أولادهم في الماء في هذا اليوم ويطلقون عليه يوم الغطاس[٣] ، أو ليله الحميم[٤].

٧- عيد خميس الأربعين

ويعرف أيضا بعيد الصعود ويحتفل به النصارى في اليوم الثاني والأربعين من صعود المسيح عليه السلام ، وذلك بعد أن اكمل ثلاثا وثلاثين سنه وثلاثة اشهر ، ويقال أنه اجتمع مع تلاميذه ووعدهم بإرسال روح القدس كما يزعمون[٥].

أما أعياد النصارى الصغار فكانت سبعه أيضا وهي:

١- عيد الختان:

وكان النصارى يحتفلون به في اليوم السادس من شهر بؤونه (يونيه) ويعتقدون أن السيد المسيح عليه السلام ختن في هذا اليوم ، وهو يوافق اليوم الثامن من يوم الميلاد[٦].

---

(١) القلقشندي : صبح الأعشى ، جـ٢ ص٤٥٤
(٢) الألوسي : بلوغ الأرب ، جـ١ ص٣٥٨
(٣) القلقشندي : صبح الأعشى ، جـ٢ ص٢٦٥ ، الألوسي : بلوغ الأرب ، جـ١ ص٣٥٨
(٤) المقريزي : الخطط ، جـ١ ص٣٦٥
(٥) القلقشندي : صبح الأعشى ، جـ٢ ص٤٥٥ ، عبد المنعم سلطان : المجتمع المصري ، ص١٧٥
(٦) القلقشندي : صبح ، جـ٢ ص٤٥٦ ، الأمين عوض الله : الحياة الاجتماعية في مصر ، دار العليمي ،جدة ، ص٣٧

٢- عيد الأربعين

يحتفل به في اليوم الثامن من شهر أمشير (فبراير) ، وذلك بمناسبة دخول الكاهن سمعان علي السيد المسيح عليه السلام وأمه لمباركتهما بعد أربعين يوما من ولادته[١].

٣- عيد خميس العهد:

وكان يحتفل به قبل عيد الفصح بثلاثة أيام[٢] ، وفيه كان بطريرك النصارى يقوم بغسل أرجل الحاضرين في الكنيسة إقتداء بما قام به السيد المسيح عليه السلام مع تلاميذه حينما قام بغسل أرجلهم ليعلمهم التواضع[٣] ، ثم أخذ عليهم العهد ألا يتفرقوا وأن يتواضع بعضهم لبعض.

والعامة يطلقون عليه "خميس العدس" لأنه كان من عاداتهم طهي العدس في هذا اليوم علي أنواع مختلفة ، ويقول أهل الشام ، خميس الأرز وخميس البيض ، وهذه التسميات راجعه إلى نوع الطعام الذي اشتهر كل إقليم بتناوله في هذه المناسبة ، وكان من عادة أهل مصر من المسلمين والنصارى تبادل الهدايا من الأطعمة في خميس العهد ، فيتهادون البيض الملون وأنواع السمك المختلفة والعدس المصفي[٤].

ومن مظاهر احتفال الدولة الفاطمية بهذا العيد إصدار عمله بهذه المناسبة في دار الضرب تسمي خروبه[٥] ، وتفرق علي رجال الدولة وأرباب الوظائف من المسلمين والنصارى طبقا لرسوم مقررة[٦]

(١) سيدة كاشف : عصر الإخشيديين ، ص٢٥١
(٢) القلقشندي : صبح ، جـ٢ ص٤٥٦
(٣) الآلوسي : بلوغ الأرب ، جـ١ ص٣٥٨
(٤) المقريزي : الخطط ، جـ١ ص٢٦٦
(٥) الخروبة : قطعة صغيرة من النقود النحاسية مقدارها عشرون درهم
(٦) عبد المنعم سلطان : المجتمع المصري ، ص١٧٥

٤- عيد سبت النور

يأتي هذا العيد قبل عيد الفصح بيوم ، ويكون ثالث يوم من خميس العدس ، وفي هذا اليوم يعتقد المسيحيون أن النور يظهر علي قبر المسيح عليه السلام بكنيسة القيامة في القدس ، فتضاء منه مصابيح الكنيسة كلها[١].

٥- عيد حد الحدود

وكان يقام بعد عيد الفصح بثمانية أيام ، ويحتفلون به أول أحد بعد الفطر ، لأن الآحاد قبله تكون مشغولة بالصوم ، ومن عادة النصارى في هذا العيد أنهم يجددون الأثاث وملابسهم وآلاتهم[٢].

٦- عيد التجلي

ويحتفل به النصارى في اليوم الثالث عشر من مسرى (أغسطس) ، لأن في هذا اليوم يعتقد النصارى أن السيد المسيح عليه السلام تجلي لتلاميذه بعد أن صعد إلى السماء ثم صعد مرة أخرى وتركهم[٣].

٧- عيد الصليب

وكان يقام في اليوم السابع عشر من توت (سبتمبر) ، وكان سبب هذا الاحتفال هو ظهور الصليب الذي صلب عليه السيد المسيح عليه السلام ، وكان ظهوره علي يد هيلانه أم الإمبراطور قسطنطين سنة ٣٢٨م ، حيث صنعت له غلافا من الذهب ، وأمرت ببناء كنيسة القيامة في بيت المقدس ، وأودعت فيه الصليب واتخذت ذلك اليوم عيدا[٤].

وكان النصارى في مصر يراعون شعور المسلمين في الاحتفالات بأعيادهم ، فلا يقدمون علي حمل الرايات أو الشارات التي تحمل الرسوم والعبارات المسيحية كصور

(١) القلقشندي : صبح الأعشى ، جـ٢ ص٤٥٦
(٢) القلقشندي : صبح ، جـ٢ ص٤٥٧ ، الألوسي : بلوغ الأرب ، جـ١ ص٣٥٩
(٣) المقريزي : الخطط ، جـ١ ص٢٦٦
(٤) المقريزي : الخطط ، جـ١ ص٢٦٦ ، نريمان عبد الكريم : معاملة غير المسلمين ، ص١٦٦

الصلبان والرهبان وغيرهما[١] ، وكانوا يتبادلون مع المسلمين بعض الأطعمة ويحرقون البخور علي أبوابهم ، وكان هذا انعكاس لحياة الود والعلاقة الحسنة بينهم وبين المسلمين ، وهذا ما جعل الدولة تشاركهم في كثير من الأحيان في هذه الاحتفالات وتوليهم رعايتها[٢].

أعياد اليهود:

قسم المؤرخين أعياد اليهود إلى قسمين :أعياد شرعيه ، وأعياد محدثة الأعياد الشرعية: عددها خمسة أعياد وهي ما نصت عليها التوراة ومنها:

١-*عيد راس السنة العبرية*:

واسمه العبري (رأس هيشا) ، وبالعبرية الحديثة (روشهاشانا) أي رأس الشهر وهو بمثابة عيد الأضحى لدي المسلمين ، ويحتفل به اليهود في أول يوم من شهر تشري من شهورهم في كل عام[٣] ، ويعتبر هذا العيد عيد عتق فيه الأرقاء من اليهود ،كما يصومون فيه للإستغفار من ذنوبهم[٤].

٢-*عيد صوماريا*:

وهو يمثل عندهم عيد الغفران والكفارة ويسمونه الكيبور ، كما أنه الصوم الأكبر عندهم[٥] ، وجعل الربانيون مده الصوم خمس وعشرون ساعة تبدأ قبل غروب الشمس في اليوم التاسع من شهر تشري وتنتهي بعد مضي ساعة من غروبها في اليوم العاشر ، بينما جعله القراءون أربعا وعشرين ساعة تبدأ من غروب شمس يوم التاسع من شهر تشري وتنتهي بغروبها في اليوم التالي[٦] ، وعقوبة من لا يصومه في شريعتهم القتل ، وقد تشدد السامرة في صيامه ، ولم يستثنوا منه الأطفال الرضع[٧].

---

(١) أدم متز : الحضارة الإسلامية ، جـ١ ص٨٨
(٢) ابن الحاج : المدخل ، جـ٢ ص٤٩
(٣) القلقشندي : صبح الأعشى ، جـ٢ ص٤٢٩ ، قاسم عبده : اليهود في مصر ، ص٤٦
(٤) المقريزي : الخطط ، جـ٢ ص٤٧٩
(٥) المقريزي : الخطط ، جـ٢ ص٤٧٩ ، نريمان عبد الكريم : معاملة غير المسلمين ، ص١٦٠
(٦) الآلوسي : بلوغ الأرب ، جـ١ ص٣٦١ ، قاسم عبده : اليهود في مصر ، ص٤٦
(٧) القلقشندي : صبح ، جـ٢ ص٤٢٦ ، الخربوطلي : الحضارة الإسلامية ، ص٢١٨

٣- عيد المظلة

وكان الاحتفال به يوم الخامس عشر من شهر تشري وهي سبعة أيام يعيدون في أولها ، وفيه كان اليهود يجلسون تحت ظلال من جريد النخيل وأغصان الزيتون وسائر الشجر الذي لا ينتشر ورقه علي الأرض تذكارا للغمام الذي أظلهم به الله في التيه ، ويصوم فيه القراءون يوم الرابع والعشرين من هذا الشهر ويعرف بصوم (جدليا) ، بينما جعله الربانيون في ثالثه[١] ، ويرجع هذا العيد إلى أصول زراعية ورعوية.

٤- عيد الفطير

ويسمونه بالفصح وكانوا يحتفلون به في اليوم الخامس عشر من شهر نيسان ، وهو سبعه أيام يصومون خلالها ولا يأكلون فيها سوي الفطير ، وهي الأيام التي تجلي فيها الله لنبيهم موسى عليه السلام ومن معه من اليهود ، ويحتفلون بهذا العيد إحياء لذكري نجاتهم من فرعون بعد أن أغرقه الله[٢] ، وهو من أعياد الحج لدي اليهود.

٥- عيد الأسابيع

ويسمي عيد العنصرة وعيد الحطاب[٣] ، ويحتفل اليهود به بعد عيد الفطير بسبعه أسابيع ، وهي عندهم الأسابيع التي أنزل الله تعالي فيها علي بني إسرائيل الفرائض متضمنة الوصايا العشر المنسوبة إلى سيدنا موسى عليه السلام ، ويحتفل بهذا العيد في اليوم السادس من شهر سيوان[٤] ، وفي هذا العيد كان اليهود يصنعون القطائف ويأكلونها تذكارا للمن الذي أنزله الله عليهم في التيه ، ويسمي هذا العيد بالعبرية(عاشرتا)[٥].

(١)قاسم عبده : اليهود في مصر ، ص٤٦
(٢) المقريزي : الخطط ، جـ٢ ص٤٧٩ ، الخربوطلي : الحضارة الإسلامية ، ص٢١٨
(٣) قاسم عبده : اليهود في مصر ، ص٤٧
(٤) الألوسي : بلوغ الأرب ، جـ١ ص٣٦٢
(٥) قاسم عبده : اليهود ، ص٤٧

أما العيدين اللذان أحدثهما اليهود فهما:

١-عيد الفوز أو البوريوم:

ويبدأ في الثالث عشر من شهر آذار الثاني إلى الخامس عشر من الشهر نفسه[١] ، ويصوم اليهود قبله بثلاثة أيام وسبب اتخاذ اليهود لهذا العيد أنه بعد تدمير بيت المقدس علي يد بخت نصر الملك البابلي وذلك سنه ٥٨٦ ق.م.[٢] ، وقتل بخت نصر الوزير هامان وأتاحته لليهود قتل شيعتهم من الثالث عشر إلى الخامس عشر من الشهر المذكور، ولذلك اتخذ اليهود من هذه المناسبة عيدا اتسم باللهو والخلاعة[٣].

٢- عيد الحنكة

وهو من الأعياد المحدثة ، وكان ثمانية أيام من شهر كسلا[٤] ، أولها ليله الخامس والعشرين من هذا الشهر، ومن عاداتهم في هذا العيد أنهم كانوا يوقدون المصابيح علي أبواب منازلهم في كل ليلة حتى تنتهي الثماني ليالي وفقا لعد تصاعدي ففي الليلة الأولى يوقدون سراجا واحدا ، وفي الليلة الثانية سراجين ، وهكذا حتى تتم ثمانية أسرجه في اليوم الثامن[٥].

الأعياد القومية:

المقصود بالأعياد القومية هي الأعياد العامة التي لا تقام وفقا لدين معين من الديانات الثلاثة التي ذكرناها ، وإنما كان الشعب كله باختلاف طوائفه يحتفل بها ، ولذلك يطلق عليها الأعياد القومية ، وأهم هذه الأعياد الآتي:

١-عيد وفاء النيل:

---

(١) القلقشندي : صبح ، جـ٢ ص٤٢٧
(٢) القلقشندي صبح ، جـ٢ ص٤٢٨
(٣) قاسم عبده : اليهود ، ص٤٨
(٤) نريمان : معاملة غير المسلمين ، ص١٦٢
(٥) المقريزي : الخطط ، جـ٢ ص٤٧٩

هو عيد سنوي حرص المصريون بجميع طوائفهم علي إحيائه منذ عهد الفراعنة حتى الآن ، وذلك لأن حياة مصر كلها تتوقف علي فيضان النيل وإليه ترجع ثروة مصر الاقتصادية[1].

وعندما فتح عمرو بن العاص مصر أتي أهلها إليه حين دخل شهر بؤونه (يونيه) ، وقالوا له كما يذكر ابن عبد الحكم: "أيها الأمير أن لنيلنا سنة لا يجري إلا بها" فقال لهم : "ما ذلك ؟ " ، قالوا : "أنه إذا كان لأثني عشرة ليلة تخلوا من هذا الشهر عمدنا إلى جاريه بكر بين أبويها ، فأرضينا أبويها ، وجعلنا عليها من الحلي والثياب أفضل ما يكون ، ثم ألقيناها في هذا النيل" ، فقال لهم: "إن هذا لا يكون في الإسلام ، وأن الإسلام يهدم ما قبله"، فأقاموا بؤونه وأبيب ومسري ولا يجري النيل قليلا ولا كثيرا حتى هموا بالجلاء ، فلما رأى ذلك عمرو بن العاص كتب إلى الخليفة عمر بن الخطاب ﷺ بذلك ، فكتب إليه عمر "قد أصبت إن الإسلام يهدم ما كان قبله ، وقد بعثت إليك ببطاقة فألقاها في النيل إذا أتاك كتابي هذا" ، فلما قدم الكتاب علي عمرو فتح البطاقة فإذا فيها "من عبد الله عمر أمير المؤمنين إلى نيل أهل مصر : أما بعد فإن كنت تجري من قبلك فلا تجري ، وإن كان الله الواحد القهار الذي يجريك ، فنسأل الله الواحد القهار أن يجريك" ، فالقي عمرو البطاقة في النيل قبل يوم الرحيل بيومين وقد تهيأ أهل مصر للجلاء والخروج منها ، لأنه لا يقوم بمصلحتهم فيها إلا النيل ، فاصبحوا يوم الرحيل وقد أجراه الله ستة عشر ذراعا في ليلة ، وقطع تلك السنة السوء عن أهل مصر[2].

وكان الاحتفال بوفاء النيل ينال كثيرا من اهتمام الخلفاء الفاطميين ، فكانوا يركبون إلي المقياس بالروضة إذا ما بلغ الفيضان ستة عشر ذراعا ، وكان متولي قياس

(١) قاسم عبده : دراسات في تاريخ مصر الاجتماعي ، ص١٠٣
(٢) ابن عبد الحكم : فتوح مصر ، ص١٧٠ ، القلقشندي : صبح ، جـ٣ ص٣٢٢

المقياس إذا وجد أن العلامة وصلت إلى ذلك أسدل ستارا أسود على شباك المقياس ، فإذا شاهد الناس هذا الستار قد أسبل تباشروا بالوفاء واجتمعوا كعادتهم للفرجة[١].

وكانت مراقبة النيل موكلة إلي جماعة من رهبان النصارى يتوارثون هذا العمل ، ولما قدم القاضي بكار بن قتيبة إلي مصر سنة ٢٤٦هـ /٨٦٠م رأي ذلك ، وكتب إلي الخليفة العباسي المتوكل بأنه لا ينبغي أن يسند هذا العمل الجليل إلا لمسلم ، فأمره المتوكل أن يعين في هذه الوظيفة من يشاء وفي العام التالي أمر المتوكل ببناء مقياس الجزيرة[٢] ، واختار بكار بن قتيبة أبا الرداد عبد الله بن عبد السلام لتولي أمر المقياس واستمرت الولاية في ذريته يتوارثونها[٣].

وكان يتم الاحتفال بهذا العيد بحضور الخليفة الفاطمي وفي ركبه عشرة آلاف فارس، ويليهم صفوف من الجمال عليها هوادج مزركشة تقودها طائفة من الجند[٤] ، وكان هذا الموكب يخترق شوارع القاهرة ومصر ويحف به أفراد الشعب حتى يأتي دار الملك بالقرب من المقياس فيركب منها الخليفة العشاري - نوع من المراكب النيلية - وبصحبته وزيره وكبار رجال حاشيته قاصدا المقياس ، فإذا دخله صلي هو والوزير ركعتين ، ثم يضع الخليفة بيده الزعفران والمسك في إناء خاص ، يناوله للموظف المختص بالإشراف على المقياس ، فيقوم هذا الموظف بتخليق المقياس - تعطيره - ، بينما يتناول قراء الحضرة تلاوة القرآن ثم يخرج الخليفة راكبا العشاري فإذا عاد إلي دار الملك عاد بموكبه إلي القصر[٥] ، وكان عامة أهل مصر يحتفلون بهذا العيد بتزيين الأسواق والدور والاحتشاد لرؤية موكب

(١) المقريزي : السلوك ، ف٢ جـ١ ص٦٠٧ ، سعيد عاشور : المجتمع المصري ، ص١٩٧
(٢) ابن عبد الحكم : فتوح مصر ، ص١٧٢
(٣) ابن خلكان : وفيات الأعيان ، جـ١ ص٢٧٠ ، ابن حجر : رفع الاصر عن قضاة مصر ، ص١٤٢
(٤) جمال سرور : الدولة الفاطمية ، ص١٧٠
(٥) القلقشندي : صبح ، جـ٣ ص٥١٢

الخليفة ، وكانوا يحرصون على تخليق وجوه صبيانهم بالطيب تيمنا بتخليق عمود المقياس في ذلك اليوم[١].

وكان الخليفة يوزع الكسوات والخلع على كبار رجال الدولة في غرة رمضان والجمع الثلاثة الأخيرة منه ، وفي وفاء النيل ، وكذلك يمنح الشعراء والكتاب والأعيان حللا من الحرير الخالص في هذه المناسبة[٢].

الاحتفالات الأسرية:

أول هذه الاحتفالات هو الاحتفال بالزواج ، ونظرا لارتباط الزواج بالدين فقد اختلفت مراسم الزواج في مصر الإسلامية عما كان من قبل ، وكان الزواج يتم طبقا لعقد مكتوب يوقع عليه عدد من الشهود ، وقد يزيد على العشرة في بعض الأحيان[٣].

وينص العقد على قيمة المهر التي تتراوح في عصر الولاة ما بين أربعة دنانير وعشرين دينارا حسب الحالة الاجتماعية لكل زوج وزوجه ، أما المؤخر فلم يكن يدفع عند الطلاق كما يحدث حاليا ، وإنما كان يدفع على أقساط في مواعيد محددة من تاريخ عقد الزواج[٤]، وأقل ما ورد من قيمة الصداق في العقود خلال القرن الثالث والرابع والخامس الهجري هو دينار واحد وأكثرها ثمانون دينارا[٥] ، وكان الزوج يحصل على إيصال من زوجته بقيمة ما دفع لها من صداق يوقع عليه عدد من الشهود[٦].

كما كانت الزوجة بدورها تحصل على سند بقيمة ما تأخر لها من الصداق[٧] ، وكانت الموائد الفاخرة جزءا من الاحتفال بالزواج ، حيث كانت تعد وليمة كبيرة للأهل

(١) المقريزي : اتعاظ الحنفا ، جـ٢ ص١٥٠
(٢) المقريزي : الخطط ، جـ١ ص٤١٠
(٣) عبد المنعم سلطان : المجتمع المصري ، ص١٨٩
(٤) هويدا عبد العظيم رمضان : المجتمع في مصر الإسلامية ، جـ٢ ص٧١
(٥)جروهمان : أوراق البردي ، جـ١ ص٧٦
(٦) جروهمان : أوراق البردي ، جـ١ ص١١٢
(٧) عبد المنعم سلطان : المجتمع المصري ، ص١٨٩

والأصدقاء تسمي "وليمة العرس" وبعدها يخرج العريس قاصدا بيت العروس في موكب كبير، وبوصول العريس بيت العروس يبدأ حفل الزفاف الذي تحييه عدة فرق من المغاني ، فيختلط فيه الغناء بضرب الدفوف والزغاريد من النساء[١].

وكانت هناك دور مخصصة لإقامة حفلات الزواج خلال العصر الفاطمي تستأجر من أصحابها ، وكانت الدولة تأخذ عليهم عهدا بالالتزام بالأخلاق الحميدة[٢] ، وكانت العروس تجلس في مكان الاحتفال على دكه عالية بمفردها حيث يراها الناظرون وهي في أبهى زينة وأجمل ثياب ، وكان هذا الحفل مقصورا على النساء[٣].

ومن جهة أخري يخصص مكان أخر للزوج ومعه أصدقاؤه والمدعوين من الرجال للاحتفال به على غرار ما يحدث في مجلس العروس من حيث المغنون وأنواع الملاهي والرقص وتوزع أنواع الحلوى والأطعمة عل الحاضرين[٤].

(١) المقريزي : السلوك ، جـ٣ ص٤٢٦
(٢) المقريزي :اتعاظ الحنفا ، جـ٣ ص١٠٠
(٣) الأدفوي : الطالع السعيد ، ص٢٥١
(٤) عبد المنعم سلطان : المجتمع المصري ، ص١٩٢